

الانحدار إلى الهاوية

د. إسكندر كفوري

ما يجري حالياً في العالم الأرثوذكسي وبين الكنائس الأرثوذكسية يشبه التدحرج البطيء لكتلة كبيرة نحو الهاوية، ما سيحدث تهشيماً كبيراً وتفتيتاً لهذا الجسم المتدحرج نحو الأسفل من دون ضوابط أو كوابح.

وكما يبدو فإن حال الانقسام التي بدأها المتقدم بين متساوين قداسة البطريرك المسكوني برثولماوس الأول، حين دفع بقوة لتقسيم الكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية وإنشاء كيان من المنشقين بقرار سياسي وتدخل مباشر من رئيس أوكرانيا السابق بيتر بوروشينكو وإشراف وزارة الخارجية الأميركية والوزير مايك بومبيو ومتابعة لصيقة من سفيريه في تركيا واليونان (هذا الأمر لم يعد مخفياً على أحد) وجرى وضع علمانيين بثياب كهنوتية على رأس هذا الكيان، وسيتم عليه شخص غير حاصل على الرسامة القانونية ولم ينل البركة الإلهية، وبذلك تجاهل قداسته عن غير حق وباستخفاف كبير وجود كنيسة شرعية قانونية أوكرانية مستقلة إدارياً وحاصلة على طرس الاستقلال الإداري منذ أكثر من ثلاثين عاماً مع بقائها ضمن الأراضي القانونية لكنيسة روسيا الأرثوذكسية، وتضم ملايين المؤمنين الذين ما زالوا على تعلقهم الوثيق برئيس الأساقفة الوحيد الشرعي على الأراضي الأوكرانية سيادة المتروبوليت الكلي الاحترام اونوفري، فكيف يمكن لقداسة المسكوني أن يقوم بمثل هذا الأمر ويأتي ببضعة أفراد يلبسهم ثياب الكهنوت من دون أن يتمتعوا بالشرعية في حين ينكب أتباع عنصريون لهم جلهم من رجال مخابرات النظام الانقلابي في أوكرانيا، على ضرب المؤمنين الحقيقيين وإشعال الحرائق بالكنائس والإساءة إلى رجال الدين وطردهم من كنائسهم والاستيلاء عليها بقوة الشرطة المحلية المتآمرة معهم، فبأي حق كنسي يرضى المسكوني بذلك ويتجاهل آلاف الرسائل والمناشدات من إخوانه رؤساء الكنائس المحلية الأخرى الذين دعوه أكثر من مرة إلى حلّ المشكلة وفق ما تقتضيه القوانين الأرثوذكسية التي تدعو منذ الأزل إلى اتخاذ القرارات الجمعية التي يرفضها البطريرك برثولماوس الأول، ويحاول أن يكون صاحب القرار الأول معتبراً نفسه باباً، وهو منصب غير موجود في الكنيسة الأرثوذكسية.

كما لا يحق له بأي شكل من الأشكال منح الاستقلال الذاتي لأوكرانيا (وهذا الأمر لم يحصل لأن ما سمّي بالبطريركية الناشئة أصبحت تابعة لاسطنبول) من دون طلب رسمي من أساقفتها ومؤمنها وبالتالي موافقة الكنيسة الأم التي هي الكنيسة الأرثوذكسية الروسية حسب القوانين الأرثوذكسية، وهذا الأمر لم يحصل لا من قريب ولا من بعيد، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على مخالفة المسكوني لكل القوانين الأرثوذكسية التي صدقت عليها كل الكنائس والمجامع الأرثوذكسية عبر قرون عديدة.

في ٥ كانون الثاني ٢٠١٩ وقّع برثولماوس على قرار جائر في إسطنبول في احتفال كنسي سياسي بامتياز بحضور رئيس أوكرانيا السابق بيتر بوروشينكو وبرعاية مباشرة من قبل وزير الخارجية الاميركي بومبيو الذي أصبحت زيارته إلى المركز البطريركي المسكوني في الفنار دائمة وملفتة، معتقداً أنه وبشحنة قلم يمكنه إلغاء كنيسة عريقة كالكنييسة الأوكرانية التي تأسست في العام ٩٨٨ والتي وصل عدد رعاياها في آخر إحصاء بالرغم من التضيق والملاحقة من قبل السلطات المتواطئة، إلى ١٢٣٧٤ رعية على كامل رقعة الوطن، أي بزيادة قدرها ٣٦ رعية عن العام الماضي، كما زاد العدد الإجمالي للمطارنة هذا العام بمقدار ٩ ووصل العدد إلى ١٠٨ مطارنة، وزاد العدد الإجمالي لرجال الدين بمقدار ٤٥ ليبلغ ١٢٤٥٦، كما ارتفع العدد الإجمالي للطلاب المتفرغين في مؤسسات التعليم اللاهوتي العالي بمقدار ١٥٩ ليصل إلى ١٥٣١، وبدأت مؤسسة تعليمية لاهوتية جديدة عملها في العام ٢٠٢٠.

وتم إنشاء دير جديد هو دير القديس سرجيوس رادونيج في أبرشية بيلوتسركوف هذا العام، ليصل إجمالي عدد الأديرة إلى ٢٥٥، كما وصل العدد الإجمالي للرهبان إلى ٤٥٤٨، وأعلن السينودوس الأوكراني قداسة ٤ من نساك التقوى، فهل يمكن لأي عاقل بعد الاطلاع على هذه الأرقام أن يتجاهل هذه المؤسسة الضخمة بمؤمنيه وقديسيها ومطارنتها ورهبانها وأديرتها وكنائسها، فكيف بالأحرى لرجل كقداسته وهو المتقدم بالاحترام بين متساوين وبمركزه المسؤول والعارف، أن يرمي بكل هؤلاء إرضاءً لوزير أو تنفيذاً لتعليمات سياسية، ويأتي بمجهولين أعدادهم لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة من مدنيين يصبرهم مطارنة من دون أي سيامة قانونية، يتحكم بهم عقل شرير عنصري ويحركون من سلطة الدولة الأوكرانية، والأسوأ أنهم وبدل الدعوة إلى التسامح والمحبة نراهم يدعون إلى العنف والقتل والإجرام وإحراق الكنائس وضرب العجزة والأطفال من المؤمنين لتحقيق غاياتهم! وهل يمكن لأحد في كل العالم الأرثوذكسي أن يبرر ما يقوم به البطريرك المسكوني، هذا الامر يستدعي من الجميع اعلاء الصوت لمواجهة هذا الانحدار الذي سيقود حتماً بعد ما جرى في اليونان وقبرص والإسكندرية إلى تشرذم هذه الكنيسة العريقة كما أريد لها على الدوام من قبل بعض الدوائر الحاكمة وراء المحيط، فإذا كان قداسة المسكوني ولأسباب نجهلها يدفع بهذا الخيار، فهل سيتصدى بطاركة وأحبار الكنائس المحلية الأرثوذكسية لهذا الانهيار ويوقفونه من خلال العودة إلى التعاليم الأرثوذكسية القويمية، أم سيبقى الصمت مخيماً فوق رؤوس الجميع بانتظار أن ينهار البناء ويندمون ساعة لا ينفع الندم؟

مصدر

Українська православна церковь
 Оукраїнська православна црковь، Церк-слав
 Украинская православная церковь، Укр